نجم أحمد

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقى سرور

منذ أربعة عشر قرناً وقف يهودى من علماء التوراة الربانيين ، على أحد آطام يثرب ، يرقب السماء ، ويرصد الآفاق ، منتظراً حدثاً كونياً ، وعلامة بين الكواكب ، هى الفيصل بين الجاهلية ، وأيام الله .

وفى ذات مساء أخذ يصيح : طلع الليلة نجم أحمد ، نجم التوحيد ، نجم الخير والهدى للعالمين .

لقد كان الإسلام ممثلا فى رسوله ، نجما تترقبه الدنيا ، وتتطلع إليه البقية المؤمنة !!

ومن جديد تتطلع الدنيا ويرقب المؤمنون نجم أحمد ، نجم الإسلام ، وسيعود النجم بإذن الله وأمره ، لينقذ الإنسانية من الجاهلية القائمة ، كما أنقذها منذ أربعة عشر قرنا من الجاهلية الذاهبة .

وواجب كل مسلم أن يسهم فى تمزيق الحجب التى تخنق النجم وتحجبه عن الأبصار وتعوقه عن الإشراق ، وفريضة على كل مفكر فى أى بقعة من بقاع العالم الإسلامى ، أن يدخل المعركة فوراً بكل قواه ضد الظلام ، وفى سبيل النور .

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لا نبى بعدى » .

فكل مسلم اليوم هو رسول إلى قومه ، وكل مؤمن هو خليفة لنبيه ، وكتاب الله بيننا ، هو شريعتنا ومحجتنا وهدانا ، وهو إمام كل نهضاتنا .

روى الترمذى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفيصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم » .

والنهضات اليوم لا ترتجل ، وإنما تبنى لبنة لبنه ، بأيد الصناع المهرة المدربين وتعد خطوطها العريضة فى رؤوس المفكرين ، وقلوب المؤمنين ، وعقول المشرعين ، وتنسج دروعها فى معامل العلماء ، وصحف الاجتماعيين وأندية الاقتصاديين

إن النهضة الإسلامية . يجب أن تخرج من نطاق الكلمات الجوفاء ، والصرخات الرعناء ، والعصبيات الحمقاء ، والدعوات المرتجلة ، والحماسات الجاهلة ، إلى ساحات التنظيم والإعداد ، والتنسيق الكامل ، والكفاءة العلمية ، والخبرة الفنية .

يجب أن يمسك بزمامها العلم المؤمن ، والوعى اليقظ المتطور ، والخلق الرفيع الواقعى ، والقلب الخاشع الحى ، والحزم المتوثب المحدد ، والفداء الحكيم الصاعد إلى الله بغاياته وأهدافه ، حتى لا تنحرف أو تضل أو تتفرق بها السبل .

يجب أن يرتكز على بعث عقلى جديد ، يقوم على اكتشاف الإسلام من جديد ، بكل ما فيه من إمكانيات وقوى وصلاحيات عالمية ، وأن يستضاء فى كل هذا بالمصدرين الأساسيين للاسلام ، كتاب الله وسُنة رسوله كما توضع فى الميزان مناهج الحضارة الإسلامية ، فى عصورها الإيمانية ، وما رسمته للمجتمعات البشرية ، من نظم وتشريعات ، وما حققته لأبنائها فى ميادين العدالة الاجتماعية ، والقوة الاقتصادية ، والعظمة العلمية ، والكفاءة الحربية ، والمثاليات الأدبية والخلقية .

وأن تساهم الأقلام العالمية المستنيرة فى هذا البعث وتسانده ، بالدراسات المتلاحقة ، التى تعنى أول ما تعنى بتقديم منهج إسلامى ، أساسه الشورى والحرية والمساواة ، والعدالة الإسلامية الشامخة ، والكفاءة الاقتصادية الهادفة .

منهج إسلامى يمشى على قدميه حيا تشاهده الأعين ، وترى فيه جوابا وإقناعا وعلاجا لكل ما نضطرب فيه من شئون حياتنا ، ويعرض أنظمة اقتصادية ، مدروسة محررة محددة ، تكفل إقامة مجتمع إسلامى عالمى على دعامات اقتصادية متفوقة ، أنظمة اقتصادية يقرها الوضع الحضارى ، ويقبلها المنطق الاقتصادى ، ويرضى عنها الإيمان الإسلامى .

كما يعنى برسالة الإسلام الاجتماعية ، ونظمه التعليمية ، وموقفه من التشريعات العمالية ، والمجتمعات المهنية ، وما فرض من قداسات للحريات والعقائد ، وما قدم من حلول حاسمة لكل ما تحتاج إليه حياتنا المتشابكة ، وما يلابسنا من تيارات عالمية ، وما يحيط بنا من مشاكل دولية .

كما يجب أن نحدد موقفنا من هذه الحضارة المادية المنحلة ذات البريق العلمى الباهر ، والروح الجاهلى الملحد الفاجر .

هذه الحضارة الجاهلية التى تسللت إلى عقولنا ، وعاشت فى قلوبنا ، وأخذت علينا سبل تفكيرنا ، وضربت على أبصارنا الرغبة والرهبة ، وهيمنة هيمنة كاملة على أخلاقنا ونظمنا .

هذه الحضارة التى تضاد الإسلام روحا وتقنينا ، وتخالفه صراحة فيما يتناول من شئون الحكم ، وفيما يرسم للمجتمعات من عادات وأخلاق ومثاليات .

والإسلام بناء كامل له أفقه الحضارى ، وله جهازه الثقافى ، ومجتمعاته التى تقوم على الأخلاق ، ومدارسه التى ترتكز على الروح والآداب ، ومثالياته التى تبنى عليها الحياة ، وتصعيده لكل عمل من أعمال الدنيا إلى الله .

وهو أعز من أن يغفى فى غيره ، وأكبر من أن يذوب فى ثقافة تجاوره ، وقد أنزله الله دينا سيدا مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، وجعل من كل مؤمن به إماما للناس ، يقود مواكبهم للحق ، ويأخذ بأيديهم إلى كلمات الله .

إنه دين ورث النبوات والرسالات كافة ، وارتضاه الله أفقا لجامعة الرسل ، وعنوانا لكل كتاب مقدس ، فأى تنازل منه فى ميادينه التشريعية والخلقية والتعبدية ، هو اهدار لكل الأديان ، وتفريط فى أمانة الله ، ومساندة للجاهلية .

ولكنه أيضاً لايعرف الجمود والتزمت والانفصال داخل الأسوار ، إنه لدين يمشى بالحياة ولا يقف ، ويمتد مع الناس إلى الخير ولا ينكص .

إنه رسالة للدنيا ، كما هو رسالة للأخرى ، رسالة للعلم والقوة وكل ما يعنيه على أن يكون القوة الأولى .

وعلى هذا الضوء نحدد موقفنا من الحضارة الأوربية القائمة ، نأخذ منها مسببات القوة والبأس الشديد ، والعلم العريض ، ونعرض عن تحللها وعدوانها وجاهليتها الشهوانية الملحدة .

إن من مقومات نهضتنا أن ننتفع بالمعارف العالمية التى كسبها الإنسان فى تطوره التاريخى ، وأن نضم إلى قوتنا الذاتية ، تلك القوى التى تعمل فى حقل الحضارات المعاصرة ، وأن نقتبس من نظمها كل نافع لنا ، وكل معين على نهضتنا .

علينا أن ننتفع ببرامجها فى الاعداد والتنظيم والإنتاج ، وأساليبها فى الدرس والتحصيل والابتكار ، وأن نأخذ من قوانينها العامة المنتقاة كل مالا يتعارض مع روح الإسلام .

تلك هى مقومات نهضتنا التى نرقب معها «نجم أحمد» النجم الذى يتألق بالهدى والنور ، ويشرق بالسلام والمحبة والرحمة ، للانسانية التى يهفو قلبها المكدود المحزن إلى كلمات الله وآياته ، ونور محمد ورسالته .